

أبو الشهداء

مؤلف هذا الكتاب عملاق الأدب العربي الأستاذ عباس محمود العقاد صاحب المعجزات الإسلامية التي تأتي في مقدمتها (عبقرية محمد) وينتظم فيها (عبقرية الصديق)، و(عبقرية الامام).

وأبو الشهداء هو الحسين بن الامام علي بن أبي طالب سبط الرسول الذي ذهب إليه وإلى أخوته كل مافي فؤاد النبي عليه السلام من محبة البنين وهو مشوق الفؤاد إلى الذرية من نسله فكان عليه السلام لا يطبق اذاة تلحق بالحسن أو الحسين. مر يوماً على بيت سيدة النساء فاطمة الزهراء فسمع حسينا يبكي فقال لها:

الم تعلمي ان بكاءه يؤذيني هذا التقى التقى الطاهر العلم الذي كان بكاؤه طفلاً يؤذي الرسول قتل في معركة كربلاء بعد أن سجل من ضروب البسالة والشجاعة شجاعة النفس وشجاعة العقل وشجاعة الحرب ما أمد التاريخ الإسلامي بأشرف مواقعه وألهم الأدب العربي أروع آياته.

يقول الاستاذ العقاد عن بطل كربلاء الامام الحسين:

(يخيل إلى الناظر في أعماله بكربلاء أن خلأته الشريفة كانت في سباق بينها ايها يظفر بقخار اليوم كله، فلا يدري اكان في شجاعته أشجع أم في صبره أصبر أم في كرمه أكرم أم في إيمانه وأنفته وغيرته على الحق بالغما من تلك المناقب المثلى أقصى مداه إلا إنه كان يوم الشجاعة لامراء وكانت الشجاعة فضيلة الفضائل التي تمد مآثرها بروافد من كل خلق نبيل يعينها على شأنها.. فكان الحسين (شبل على) في شجاعته الروحية والبدنية معا غاية الغايات وكان مضرب المثل بين الرعيل الأول من أشجع الشجعان في أبناء آدم وحواء..

ملك جأشه وكل شيء من حوله يوهن الجأش ويحل عقدة العزم ويفرى بالدعة والمجاراة.

ملك جأشه ومن حوله نساؤه وأبناؤه في نضارة العمر يجوعون ويظمأون ويتشبثون به ويكون، وملك جأشه روية وأناة، ولم يملكه وثبة وائب إلى الغضب أو هيجة مهتاج إلى الوغى.

فكان قبل القتال وفي حومة القتال قويا بصيرا ينفض الضعف عن عزائمه كما ينفض الأسد
غبيرات الحصباء عن لبدته ولم يخامرہ الأسف قط فى ذلك الموقف إلا من أجل أحبائه وأعزائه
الذين يراهم ويرونه ويسمع صيحتهم ويسمعونه، فقال وهو ينظر إلى الأخية ومن فيها:

لله در ابن عباس فيما أشار به على..

وجلس ليلة القتال فى خيمته يعالج سهامها له بين يديه ويرتجز وامامه ابنه العليل..

يسادهر أف لك من خليل

كم لك بالإشراق والاصيل

من صاحب وماجد قنيل

والدهر لايقنع بالبيديل

والأمر فى ذاك إلى الجليل

وكل حى سالك سبيلى

فرد ابنه عبرته لكيلا يزيدہ أماً على أله.. وسمعتہ أخته زينب فلم تقو على حنانها ووجلها
وخرجت إليه من خباتها حاسرة تنادى وائكلاه (اليوم مات جدى رسول الله وأمى فاطمة الزهراء
وأبى على وأخى الحسن. فليت الموت أعدمنى الحياة باحسيناه.. يابقية الماضين وثمالة الباقين..

فبكى لبكائها ولم يشن عن عزمه الذى بات عليه وقال لها ياأخت لو ترك القطا لنام.. ولم
يزل يناشدها ويفريها وهو فى قرارة نفسه مستقر كالطود على مواجهة الموت وأبى التسليم أو
النزول على حكم (ابن مرجانة) كما قال.. ثم احتملها مغشيا عليها حتى أدخلها الخباء.

نزول الممالك وتدول الدول وتنجح المطامع أو تخيب وتحضر المطالب أو تغيب، وهذه
الخلائق العلوية فى صدر الإنسان أحق بالبقاء من الممالك وما حوته، ومن الدول وما حفظته أو
ضيعته بل أحق بالبقاء من رواسى الأرض وكواكب السماء).

إن الممارك لاتقاس بنتائجها الظاهرية فلرب انتصار أشرف منه الهزيمة بعد استبسال
مستميت.. ولرب ظفر يكون فيه حنق الظافر فإذا به وقد هلك حين ظن أنه ملك.

لقد كانت معركة كربلاء أكبر عوامل سقوط الدولة الأموية كلها.. كما كانت الحجة الناهضة التي قامت عليها الدولة العباسية في المشرق، والفاطمية في المغرب بل تمسح فيها وتعملل بها وتفيأ ظلها المعجم كالعرب سواء بسواء فتعملل بها أناس من الأيوبيين والعثمانيين واستظل بها الملوك والأمراء من الفرس والهنود..

وإننا ونحن نعيش مرحلة فاصلة من مراحل تاريخنا.. إننا ونحن نعيش معركة هي أكبر معارك تاريخنا.. على كثرة ماخضنا في تاريخنا الطويل من معارك رهيبة.. إننا ونحن نقف في مفترق الطرق تتكاثر علينا قوى الظلم والبغى، وتتكاثر ضدنا قوى الشر والعدوان.. إننا ونحن نقف امام الامبريالية الأمريكية بكل طاغوتها وجبروتها.. أقول الامبريالية الأمريكية لأن إسرائيل ماهي إلا صنيعتها.. ما هي إلا مخلب القط وما كانت لتجرؤ على حربنا بغير سند منها.

إننا ونحن نقف امام هذا كله في حاجة إلى استمداد الأسوة، والذكرة، والفكرة من تاريخنا لحشد معنوياتنا وتوطيد ثقة النفس العربية بذاتها لتعطي صمودها قوة الاصرار والاستمرار.

وليس أسوة أكبر من موقعة كربلاء التي واجه فيها الحق الباطل.. ووقف فيها النور امام الظلام فانتصر الحق انتصار الأبد وإن صرع في الجولة الأولى.. وظهر النور وخلد وان ظن الظلام للوهلة الأولى ان ليلة سرمد وأن الفجر قد ضاع منه الطريق..

وقبل أن اختتم هذا التأريخ أعود بكم إلى كتابة استاذنا العقاد كما يعود اللحن إلى قرار..

اسمعه معي يقول عن كربلاء المسلمون سواء أكانوا متفقين أو مختلفين، من حق هذا المكان أن يطيف به كل انسان لأنه عنوان قائم لأقدس مايشرف به هذا الحي آدمي بين سائر الأحياء..

فما أظلت قبة السماء مكانا قط هو أشرف من تلك القباب بما حوته من معنى الشهادة (وذكرى الشهداء).

رحم الله الشهيد بن الشهيد الحسين أبي الشهداء.